

وكلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة  
وكيف رموه من أجل ذلك بكثرة الشر ولؤم الطبع ، ما كانوا  
محقين وما كانوا منصفين ، انهم لم يفتنوا الى أن الشاعر ما قال  
بيته إلا بعد أن لاقى من قومه كل احتقار وقسوة ؛ وكل ما من  
شأنه أن يجعل الشاعر يشور على البيئة التي نشأ فيها .

ثم هل تظن أن طرفة عنى قومه فقط حينما قال : « كلهم أروغ  
من ثعلب » اننا لا أظن ذلك بل أرجح أنه عنى الناس اجمعين ؛ وأنه  
كان سيء الظن بالبشر شديد الحذر منهم ، ليس هو القائل في ذم  
الأخلاء :

كل خليل كنت خالته لا ترك الله له وانحاه

\*\*\*

ولد طرفة عبقرياً وشب عبقرياً ، فأسمعنا وهو في زهرة العمر  
ونجر الشباب أناشيد الحياة والموت فأطربنا بانغامه إلى حين ، نعم  
الى حين ، فقد أحرص الزمن لهاته قبل أن يكمل الخامسة العشرين  
ربيعاً ؛ وكأن طرفة كان يشعر بمصيره ويعلم أن أيامه في الحياة  
قصيرة ؛ فراح يسخر بمن يردعه عن اغتنام لذائذ الدنيا ويترجره  
عن الحمر والنساء واقتحام الهيجاء :

ألا أيها الزاجري احضر الوغى وان أشهد اللذات هل أنت مخدبي  
فان كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي  
واعتقد طرفة أن « الكل باطل » ورأى أن هنالك شيئاً  
واحداً ثابتاً ، هو أن الحياة تمضي ، وما عدا ذلك أباطيل :

أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة وما تنقص الأيام والدمر ينقد  
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتي لكالطووك المرخي وثنياه باليد  
لعمرك ما الأيام الا معارة فما اسطعت من معروفها فتزود  
وما دام طرفة يرى أن اسمه سيسحى من سجل الوجود وأن  
قبر البخيل النحام في شرع الفناء كقبر الغوي الضال الذي قضى  
عمره في الشرب واللعب :

أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوي في البطالة مفسد  
أرى الموت يعتام الكرام ويصطنق عقيلة مال الفاحش المتشدد  
ما دام يرى ذلك فقد صمم على أن يفتنم أويقات الحياة ويتمتع  
بكل ما تناله يده من لذائذ ومتع فعاش — وهذا طبيعي ممن مات  
ولم يبلغ الخامسة والعشرين من سنه — صريع الكأس والأعين  
النجل ؛ واهباً روحه للجمال وحسه للذة ، أما نفسه فظلت كبيرة

## طرفة بن العبد

للأستاذ بشير الشريقي

مسكين طرفة ! لقد شكته آلهة الشعر والهوى والخور باكرآ  
غضاً نضير العود ، مسكين لم يتمتع بالشباب ؛ بل كان لا يتجاوز  
الخامسة والعشرين من عمره حينما طوته النون في سجل العدم  
ودفنت معه عبقرية فياضة ، وذهنية جبارة ، وشاعرية قوية حارة .  
خمس وعشرون حجة ، انها حلم قصير يا طرفة . . ولكنه حلم  
لذيذ ، وحلم جده عجيب . أيها الشاعر الاغتنامي والشاب  
الفيلسوف المهتك .

\*\*\*

على رمال الصحراء الطليقة ولد طرفة ، ولكن متى ؟ هذا مالا  
يعلمه أحد ؛ كان والده من سادة « بكر وائل » ومن ذوى  
الشرف الرفيع والمقام المحمود في قومه ، وسمع طرفة يفتخر بأصله ؛  
لقد علم الأقبام أنا بنجوة علت شرفاً من أن تضام وتشتما  
لنا هضبة لا يدخل الذل وسطها ويأوى اليها المستجير فيعضها  
وتشاء الأقدار أن تسلب الشاعر والديه وهو لم يزل طفلاً في  
المهد فينشأ المسكين كما نشأ الحطيثة والأخطل وبشار وأبو نواس  
وابن الرومي ، يتيماً محروماً من كل عطف ورعاية ، لا يعرف سوى  
أعمامه الذين أهملوا تربيته وهضموا حقه .

لقد ثار طرفة في شبابه على هؤلاء الذين نبذوه وظلموه وكانوا  
علة شقائه ، ثار على أعمامه وذوى قريبه ، وفي ساعة ذكرى ماض  
محروق مهان ، وطفولة نكدة محرومة ، تلهم عرائس الشعر هذا  
العبقرى الصغير أبياته الخالدة :

فمالي أراني وابن عمي مالكا متى أدن منه ينا عني ويبعد  
يلوم ، وما أدري علام يلومني كما لامني في الحى قرط بن معبد  
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند  
ولا أعلم كيف عاب بعض النقاد الادباء هجاء طرفة لقومه  
في قوله :

أسلمي قومي ولم يفضبوا لسوءه ، حلت بهم فادحة

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى  
واسمع إنه يحدثك عن الخير والشر :

الخير أبقى وإن طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد  
وتأمل قوله وهو في السجن - يخاطب قاتله (١) عمرو بن هند

أبا منذر كانت غروراً صحيفتي  
ولم أعطكم بالطوع مالى ولا عرضي

أبا منذر أفنيت فاستبقي بعضنا  
حنانيك بعض الشر أهون من بعض

ألا تشعر معي أن في قوله « أبا منذر أفنيت فاستبقي بعضنا »  
نقاء وحرارة ، وليناً وروعة واستعطافاً ، وإن قوله « بعض الشر

أهون من بعض » آية يتمثل بها .  
وذكروا أن من حكمه التي حملت فحول الشعراء كلبيد

وجرير والاخلط على الاعتراف بفضله وتقدمه قوله :  
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالآخبار من لم تزود

ويروى عن عائشة رضي الله عنها قولها : كان النبي صلى الله  
عليه وسلم إذا استراب الخبر يتمثل بقول طرفة « ويأتيك بالآخبار

من لم تزود » وكان ابن عباس يقول عن هذا البيت « انه كلام نبي » .  
النبي محمد يتمثل بقول طرفة . !

وابن عباس يقول إن كلامه كلام نبي .  
وأبو العلاء المعري يقول في رسالة الغفران « .. لو لم يكن لطرفة

أثر إلا قصيدته التي على الدال لكان قد أبقى أثرًا حسنًا » .  
أما قصيدة طرفة التي على الدال فهي معلقته ، اسمع مطلعها

الرائع :  
نخولة أطلال بريقة شهيد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقوفاً بها صحبي على مطيئهم يقولون لآتهلك أسى وتجهد  
ونظر طرفة الى الحياة ، الى المستقبل ، بعين فيلسوف حكيم ،

بعين شيخ مجرب بصير بمواقب الأمور فقال :  
قد يبعث الأمر العظيم صغيره حتى تظل له الدماء تصبب

رحم الله طرفة شاعر الشباب والجمال والحكمة ما  
شرقى الأردن  
بشير الشريفي  
الحامى

(١) يذكر الرواة أن طرفة اتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه ، ثم  
أرسله بكتاب الى المكعب ، عامله على البحرين وعمان - بأمره فيه بقتله  
لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها فقتله المكعب حوالي سنة ٦٠ ق . هـ

لم يذمها الهوى ولم يخضعها الحسن ، أبدأ محترمة مهيبة طموحة  
الى المجد :

إذا القوم قالوا « من قتي » ، خلت أنى  
عُنيت ، فلم أكسل ولم أتبلد

فأنت تبغى في حلقة القوم تلقى  
وان تقتنصى في الحوانيت تصطد

متى تأتي أصبحك كأساً روية  
وإن كنت عنها غانياً ؛ فاغد وازدد

وان يلتقى الحى الجميع تلاقى  
الى ذروة البيت الشريف المصمد

ندامى يبيض كالنجوم وقينه تروح إلينا بين برد مجسد  
وما زال تشرابى الخور ولذتى ويبى وإنفاقى طريفي ومتمادى

الى أن تحامتى العشيرة كلها وأفردت افراد البعير المعبد  
شعر رقيق عبر به صاحبه فأحسن التعبير ، وطريقة واقعية

مذهبها الاباحة والصراحة ، حقاً لقد خلق هذا الصغير طرفة  
شاعراً فياض القريحة ، انظر ، إنه مافكر في غير نفسه ، ولا استمد

إلا من حسه .  
\*\*\*

ربما دهشت اذا قلت لك إن هذا الشاعر الشاب الذى مات  
قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين من عمره ، والذى عاش كما

قال بشار :  
عشت بين الندمان والراح والمز

هر في ظل مجلس حسن  
قد امتاز أيضاً بما نظم من الحكم البالغة والأمثلة السائرة ،

لا تعجب ، إن طرفة لم يكن مخلوقاً عادياً ، بل كان عبقرياً ملهماً ، نظر  
بعين بصيرته الى الحياة نظر الشيخ المجرب ، فحدثنا عن الوجود

والعدم حديث العارف الحكيم ، وعالج لنا خلال السنوات القليلة  
التي عاشها كثيراً من مسائل الحياة واحوال المجتمع وخوارج النفس

قال يطالب الغيث لديار حبيته :  
فسق ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهى

شعر جزل فصيح ، طلب الغيث على قدر الحاجة ، لأن  
الفاضل ضار ، وقد قال محمد (ص) « اللهم اسقنا سقياً نافعاً »  
أنا وأنت وكل الناس تتمثل بقول هذا الشاب :